العلامة الشيخ أشرف علي التهانوي : فقيهاً إسلامياً

الأخ محمد عابد حسين*

إن الشيخ أشرف علي التهانوي كان شخصيةً جامعةً عالميةً ، وكان ذا مهارة تامة في الفقه الإسلامي ، وكان وحيداً فريداً بين معاصريه في الخدمات الفقهية ، ولم يكن مفتياً رسمياً ، بل قد وهبه الله علماً خاصاً من عنده ، واختاره الله في خدمة الفقه الإسلامي ، فكان له شوق ورغبة زائدة في الفقه منذ عهد الدراسة ، حيث يعكف دائماً على دراية كل مسألة من مسائل الفقه وكنهها ودقائقها ، وقد بذل جهداً في معرفة دقائق الفقه الإسلامي ، فكان يلازم كبار الفقهاء والعلماء مدةً مديدةً ، فأكرمه الله تعالى بملكة راسخة حتى ظهر كفقيه جليل من فقهاء القرن الثالث عشر الهجري ، ومن منجزاته في الفقه " إمداد الفتاوى " وهي مجموعة نادرة نيرة في مسائل الفقه توجد فيها مسائل تتصل بكل مرحلة من مراحل الحياة ، وكذا " إعلاء السنن " في علم الحديث من آثار عناياته ، قد ألفه العلامة المحدث الشيخ ظفر أحمد التهانوي تحت رعايته وعلى أمره ، وهو مأثرة كبيرة من مآثر القرن الرابع عشر الهجري في علم الحديث ، قد تم فيه جمع الأحاديث على ترتيب أبواب الفقه التي هي من مصادر ومآخذ الفقه الحنفي ، وجاءه شرحها في بسط وتفصيل بأسلوب وحيد .

وكان عالماً ربانياً جليلاً ، مفسراً كبيراً ، محدثاً بارزاً ، فقيهاً كاملاً ، فإن كتابه " بيان القرآن " في التفسير عمل مجيد من أعماله .

اسمه أشرف علي بن عبد الحق ، ينتهي نسبه إلى سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه [1] ، وكان والده من أثرياء تهانه بهون ، وكان في عصره عارفاً كبيراً بالفارسية ، بارعاً في الكتابة ، فطيناً .

* الباحث : من قسم الدراسة (الدينيات الإسلامية) جامعة عالية كلكته (الهند) .
e-mail: mdabidhossain١١@gmail.com

[1] أعلام المسلمين : ٩١ ، الباب الأول ، الفصل الأول ، ص ٢١ ، رحمة الندوي ، دار القلم ، دمشق .

www.nidaulhind.com http://nidaulhind.blogspot.in

ولد يوم ١٩/ مارس ١٨٦٣م في بلدة تهانه بهون بمديرية مظفر نكر ، وتوفي ١٩/ يوليو ١٩٤٣م ، تلقى الدراسة البدائية من الشيخ فتح محمد في تهانه بهون ، ثم انتقل إلى بلدة ديوبند ، وتخرج فيها عام ١٨٨٤م ، أخذ فيها عن شيخ الهند الشيخ محمود حسن الديوبندي والشيخ السيد أحمد الدهلوي والشيخ محمد يعقوب النانوتوي والشيخ عبد العلي مدة طويلة ، وكان كل منهم كنهر سائل ونجم لامع في العلم والعمل [١] .

وبعد أن تخرج من دارالعلوم بديوبند تولى التدريس في مدرسة فيض عام بمدينة كانبور في تلك السنة ، ثم أسس مدرسة باسم جامع العلوم بها ، واشتغل بها في التدريس والتأليف والوعظ والتذكير ، وبقي عليه إلى مدة أربعة عشر عاماً ، ثم عاد إلى تهانه بهون على أمر مرشده العارف الكبير الحاج إمداد الله المهاجر المكي ، وأعاد افتتاح زاوية مرشده الحاج إمداد الله " الزاوية الإمدادية " وأقام بها إلى آخر حياته [٢] .

عناوينه المشرقة في الفقه :

ولتظهر دائماً كتاباتُه العلمية وجهودُه الاجتهادية في علم الفقه والإفتاء وحِكَم الشرائع الإسلامية وليتم نشر الأحكام الحديثة ، أنشأ مجمعاً إسلامياً مشتملاً على تلاميذه البارزين ، وقد بذل مساعيه الكاملة المضنية في دراية دقائق القوانين الإسلامية ونكتها وتحقيقها ، وسهّل الفقه ومسائله بعد أن أزال عنها الجمود الفكري الكائن فيها ، وروَّج فكرة التبادل الفكري والعلمي بين صفوف العلماء .

وفي مجال الفقه الإسلامي يبدو بارزاً بين معاصريه ، لأنه لم يكن مفتياً عاماً بل خاصاً ، قد اختاره الله جل وعلا ليخدم الفقه خدمة مرموقة ، وله رغبة خاصة في الفقه منذ عهد الدارسة ، ومن هنا قد أصبح فقيهاً مجتهداً في القرن الثالث عشر الهجري .

ذلك كله من أظهر عناوينه في حياته ، ذكر الشيخ المفتي محمد شفيع من أجل خلفائه مزيداً من تفصيلاته في المقدمة على كتابه " إمداد

---

[١] أشرف السوانح ، ج ١ ، ص ٦٨ ، إدارة تأليفات أشرفيه ، ملتان ، باكستان .
[٢] أشرف السوانح ، ج ١ ، ص ٨٥ ، إدارة تأليفات أشرفيه ، ملتان ، باكستان .

الفتاوى " : " وكان الله يريد أن يستخدم حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي في خدمة الدين ، ولذا قد أودعه الله تعالى من المواهب ما لم يودعه أحداً إلا قليلاً ، حيث قيض الله له فطانةً وهبيةً ولياقةً تامةً لكل فن ، وللمعلمين الماهرين ، وصحبةً خاصةً للأستاذ الكبير الشيخ محمد يعقوب النانوتوي لمدة خمس سنوات ليتعلم الإفتاء عليه ، واستفادةً من الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي – وهو كأبي حنيفة في عصره – لخمس سنوات ، وإنّ جميع فتاواه من عام ١٢٩٦هـ إلى ١٣٠١هـ عليها توثيق وتصويب من الشيخ الكنكوهي ، ومعظم فتاواه من ١٣٠١هـ إلى ١٣٢٣هـ تضم آراءه وإصلاحاته ، كما زوده الله تعالى بغاية التقوى والتواضع ، مما تبدو ملامحه في جميع فتاواه [١] .

آراء العلامة الشيخ محمد تقي العثماني عن آثاره العلمية والفقهية :

يدل على أهميته ما كتبه الشيخ محمد تقي العثماني في المقدمة على " إمداد الفتاوى " : " إن مآثره العلمية والدينية متنوعة جداً بحيث لا تصعب تغطيتها في هذه المقالة الصغيرة ، إن مؤلفاته يبلغ عددها في المجموع نحو ثمان مأة ، وبعضها رسائل صغيرة جداً يحسن بنا أن نُطلق عليها مقالات ، ولكنها في الأصل فيها شمول يصعب أن تجده في الكتب الضخمة ، وبعضها مجلدات كبيرة ، فإذا استعرضنا موضوعات هذه المؤلفات لا نجد أي موضوع في الأوضاع الراهنة لا يشتمل حوله مؤلفاتُه ، فكان يختار في جميع مؤلفاته أسلوباً يناسب لمن يؤلّف لصالحهم باهتمام ، ومن هنا ترى فرقاً واضحاً بين أسلوب رسائله في المسائل العلمية وبين رسائله لصالح عامة الناس ، حيث يشهد به كتابه الذي هو كثير النفع المقبول عند الناس " بهشتي زيور (حلية الجنة) " وهو من بين كتبه السهلة المؤلفة لعامة المسلمين ، وكتابه العلمي " بيان القرآن " في التفسير و " إمداد الفتاوي " في الفقه . وإن خطبه ومواعظه قد تم طبع معظمها كتاباً يشعر بحلاوتها مَن قد قرأ بعض هذه الكتب ، كأن مواعظه بحر

---

[١] مقدمة إمداد الفتاوى ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ترتيب جديد ، المفتي محمد شفيع العثماني، مكتبه دار العلوم كراتشي .

www.nidaulhind.com http://nidaulhind.blogspot.in

العلوم المتنوعة يتلاطم في كل الجوانب [1] .

مؤلفاته المعروفة في الفقه :

قد ألف الشيخ التهانوي كثيراً من الكتب والرسائل في الفقه ما بين الصغير والكبير ، فإن استعرضت جميعها ظهرت كتاباً مستقلاً ، لذا أذكر هنا كنموذج بعضَ كتبه المعروفة التي قد استفادت منها الأمة الإسلامية وستظل :

بهشتي زيور :

هذا الكتاب مجموع وحيد من الأحكام فيما يتصل بالنساء ، وهو أكثر كتبه طبعاً ونشراً ، وتم نقله إلى كثير من لغات العالم ، وهو زينة بل حاجة لكل بيت من البيوت ، وهو موسوعة أكبر تضم أحكام النساء وما يتعلق بهن من احتياجات المنزل بألفاظ سهلة مفهومة ، وبالكتاب نفسه كأنه – الشيخ التهانوي – قد أقام حجةً للعالم على أنه فقيه ومجدد ، وكانت هناك حاجة ملحة لمثل هذا الكتاب فيما يتعلق بمسائل النساء واحتياجاتهن المنزلية حسب مقتضيات الوقت [2] .

وقد كان كلّف الشيخ التهانوي الشيخَ أحمد علي الفتحبوري ليجمع أحكام النساء الضرروية الواقعة يومياً في حياتهن المنزلية بشكل كتاب ، فجمع خمسة أجزاء أولى من " بهشتي زيور " امتثالاً لأمره ، ولم يكتمل تأليفه حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى في قليل من عمره .

تم تأليفه على أمر من الشيخ التهانوي ، وشارك خواجه عزيز الحسن مجذوب الشيخَ أحمد علي في تأليفه جزئياً ، كما أعد عزيز الحسن مجذوب الجزء الحادي عشر منه ، وهو ملخص " علم الفقه " للشيخ عبد الشكور اللكهنوي ، وأعدّ الطبيب محمد مصطفى البجنوري الجزء التاسع منه ، وجمع فيه خبراته الخاصة عن كل من الأمراض وأنفع طرق معالجتها والتدابير الطبية ، ولم يمنّ من خلاله على المسلمين فقط ، بل على الإنسانية جمعاء منةً كبيرةً ، لأنه قد شُفِيَ مئات

[1] مقدمة إمداد الفتاوى ، مفتي محمد شفيع صاحب ، دار الكتاب ، ديوبند .

[2] أشرف السوانح ، الباب الثامن عشر ، ج ٣ ، ص ٤٨١ ، إداره تأليفات أشرفيه ، ملتان ، باكستان ، (ديباجة بهشتي زيور) .

المرضى عملاً بطرق معالجته وتدابيره الطبية .

بُدِئ تأليفه عام ١٣٢٠هـ وطُبع أول مرة على مساعدة مالية من رئيس مدرسة البنات برنغون أحد أثريائها وزوجة الطبيب عبد السلام الدانابوري وهي بنت الشيخ عبد الغفار اللكهنوي [١] .

إن هذا الكتاب يُنبّه الناس على الحاجة الاجتماعية بصفة خاصة ، ويُظهِر غاية اطلاع الشيخ التهانوي على المجتمع الإنساني وأحواله ، كثيراً ما ينقطع أصحابُ الزوايا عن أحوال المجتمع ومقتضياته ، ولكنه فكرة خاطئة حتماً ، ينبغي لهم أن يحترزوا عن حب الدنيا ويطّلعوا كمصلح ونائب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أحوال المجتمع وضرورياته اطلاعاً كاملاً ، فالكتاب نفسه مثال واضح له .

الحيلة الناجزة للحليلة العاجزة :

من مؤلفاته في الفقه " الحيلة الناجزة للحليلة العاجزة " مؤلف مهم جداً ، قد جمع فيه أحكام الطلاق ونظام المحكمة الشرعية وأحكام زوجة المفقود والمجنون والعنين ، وأحكام فسخ نكاح المرأة التي لم تبلغ ، وأحكام ما يُحرّم النكاح من القرابات ، وأحكام نكاح الأوربيين ، والقوانين الإسلامية الشخصية ، وما يتعلق بنفس هذه الأحكام من التحقيقات الشاملة المحققة .

لعدم قيام المحكمة الشرعية في الهند كانت ترتد عن الإسلام نساءُ بعض مناطق الهند لا سيما نساء ولاية بنجاب بسبب اعتداءات أزواجهن ، فليُنقِذَهن عن الارتداد ألّفه الشيخ التهانوي رحمه الله .

وذكر الشيخ بنفسه سبب تأليفه في مقدمته : " وبعد ! فإن هذه الرسالة مجموع من فتاوى عدة ، يتناول الجزء الأول منها مسألةَ تفويض طلاق المنكوحة ، وهو يشتمل على فتاوى الحنفية ، والجزء الثاني يحتوي على فتاوى علماء المالكية في المدينة المنورة ، ولكن بعض أجزائها من الفقه الحنفي وبعضها من الفقه المالكي ، تم جمع هذه الرسالة لسببين : الأول رفع الشبهات عن اعتداءات الأزواج على نسائهن بأن يكون الزوج

[١] ديباجة بهشتي زيور .

مفقوداً أو مجنوناً أو عنيناً أو متعنتاً وما غير ذلك " [1] .

إن هذا الكتاب المهم جداً " الحيلة الناجزة للحليلة العاجزة " ذُكِرَت فيه حِيَلٌ شرعية لتخليص النساء عن عنف أزواجهن ممن فَقَد أو غَابَ أو عُنَّ أو تَعَنَّتَ عليها بعدم الإنفاق عليها أو الامتناع عن الحقوق الأخرى . وبسبب عدم وجود قضاة شرعيين في الهند بدأت تَرتَد مثل هؤلاء النساء عن الإسلام ويقعن في المنكرات والفحشاء ، فنظراً إلى ذلك قد فكّر الشيخ التهانوي في سبل شرعية تُخلّصهن عن ذلك ، حيث أَعَدَّ مسودة بعد أن درس وطالع كتب المذاهب الأربعة وراسل علماء المالكية في المدينة المنورة لمدة أربع أو خمس سنوات متتالية واجتمع واستشار علماء الهند المعروفين ، واستخدم في إعداد المسودة الشيخ عبد الكريم الكمتهلوي والشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي ، ثم طبعها كتاباً على نفقته الذاتية أول مرة ونشره مجاناً .

إعلاء السنن :

من أكبر خدماته التأليفية وزناً " إعلاء السنن " ، وهو زبدة من مجهوداته التي بذلها ، ومن أمنياته التي تمناها منذ أعوام طويلة ، قد صُرفت في تأليفه نحو خمس وعشرين سنة وأُنفِقَ في طبعه ونشره نحوُ أربعين ألف روبية بيده الخاصة بذلك العهد ، وظهر في أحد عشر مجلداً باهتمام كبير ، ثم أرسل نسخه إلى أبرز علماء البلاد وشتى أصحاب دارالإفتاء بها ، وحثّ أخص أصحابه على نشره وتوزيعه [2] .

قد جمعه ابن أخته وتلميذه العلامة الشيخ ظفر أحمد العثماني ، ولكنه في الأصل مجموع من إفاداته وملاحظاته وتفهيماته .

ومما أراد الله تعالى أن يستخدمه في دينه مجدّداً في عصره ، ومن هنا قد تمكن من أنه أنجز خدمات كثيرة موفورة لدين الله جل وعلا عبر مدة قليلة ، وكان من تنظيم خدماته أنه وزّعها على عدة تلامذته من بين أخصهم وفق لياقتهم وحسب المناسبة ، واستكملها برعايته بتوجيهات

[1] مقدمة الحيلة الناجزة ، مكتبة رضي بديوبند .

[2] أشرف السوانح ، الباب الثامن عشر ، ج ٤ ، ص ٧١ ، إداره تأليفات أشرفيه ، ملتان ، باكستان .

لازمة وجّهها إليهم ، فكان فيها قلم لغيره فيما يبدو ، وفي كل لفظ وجملة سارٍ فكرُه وفهمُه [1] .

إمداد الفتاوى :

هذا الكتاب مأثرة علمية اجتهادية عظيمة للشيخ أشرف علي التهانوي ، مجموعة معروفة في دنيا مجموعات الفتاوى تضم المسائل كلها ما بين الحديث والقديم ، يدل كل سطر منها على بصيرة فقهية وشأن اجتهادي ، والكتاب في الأصل مجموع من فتاواه مما كتبه الشيخ التهانوي في أحيان مختلفة نظراً إلى أحوال شتى ، رتبها في أربعة مجلدات في حياته ، وطبع أول مرة من مطبعة مجتبائي عام ١٣٢٧هـ الموافق ١٩٠٩م ، وفيما بعد طبعت فتاواه وما زالت باسم " تتمات " في فترات مختلفة ، ثم قام الشيخ المفتي محمد شفيع العثماني بطبعها على ترتيب جديد في ستة مجلدات من كراتشي عام ١٣٧١هـ الموافق ١٩٥٢م [2] .

بوادر النوادر :

هذا الكتاب آخر كتبه في حياته ، يشتمل على مقالات علمية في التفسير والحديث والفقه والكلام والتصوف ، ويمتلئ من خزينة نادرة من العلم والحكم والأسرار ، جمعها الشيخ التهانوي في مختلف الأحيان ، وطُبع في مختلف الأماكن ، غير أن الاستفادة منها كانت صعبةً لكونها منثورةً ، لذا قد أمر الشيخ التهانوي بجمع ثلاث مأة مقالة علمية نادرة بشكل الكتاب ، وسمّاه " بوادر النوادر " ، وتم طبعه في آخر حياته .

يقول الشيخ محمد عبد الحي أحد خلفائه في " مآثر حكيم الأمة " : " طُبِعَ قبل وفاته بأسبوع أو عشرة أيام ، وقد أرسل إليه الطابع بنفسه عشرين نسخةً كهدية ، فلما قُدِّمَ إليه جلس من فوره وقال يُعرب عن فرحه ويَضع يده عليه : كنتُ في أشدّ الانتظار إليه ، ثم وَزّعَه على عدة أخص أحبائه " [3] .

---

[1] أشرف السوانح ، الباب الرابع ، ج ٤ ، ص ٧١ ، إداره تأليفات أشرفيه ، ملتان ، باكستان .

[2] مقدمة إمداد الفتاوى .

[3] مآثر حكيم الأمة ، ص ٦٧ .

قد أُلقِيَ الضوء فيه على مسائل فقهية مهمة جداً ، طبعه محمد عبد الكريم مرة أولى من كراتشي عام ١٣٥٩هـ ، ثم طبعه الشيخ المفتي محمد شفيع العثماني مرة ثانية مع زيادة حواش مفيدة عليه عام ١٣٦٥هـ ، وهو في ٨٦٥ صفحة ، تم نشره من مؤسسة " إداره إسلاميات " بلاهور [١] .

إمداد الأحكام :

هو في الأصل تكملة " إمداد الفتاوى " ، وإمداد الفتاوى مجموع من فتاواه مما كتبه منذ عهد دراسته إلى عام ١٣٣٩هـ الموافق ١٩٢٠م ، وفتاواه من عام ١٣٤٠هـ لآخر حياته طُبِعَت باسم " إمداد الأحكام " كتكملة إمداد الفتاوى في أربعة مجلدات ، وهي تتناول ألفين ومأتين وخمسين مسألة . وممن قام بترتيبه الشيخ ظفر أحمد العثماني والشيخ عبد الكريم الكمتهلوي ، وفي عام ٢٠٠٩م تم طبعه باهتمام كبير من مكتبة دارالعلوم بكراتشي .

خلاصة الكلام :

إن الشيخ أشرف علي التهانوي ليس مفتياً عادياً ، بل وهبه الله علماً خاصاً من عنده ، واختاره الله في خدمة الفقه ، وكانت شخصية جامعة ، وكانت له مهارة تامة في الفقه ، وكان وحيداً فريداً بين معاصريه في الخدمات الفقهية ، وله شوق ورغبة زائدة في الفقه منذ عهد الدراسة ، حيث يعكف دائماً على دراية كل مسألة من مسائل الفقه وكنهها ودقتها ، وقد سعى جهداً في معرفة دقائق الفقه يلازم كبار الفقهاء والعلماء مدة مديدة ، فأكرمه الله تعالى بملكة راسخة حتى نبغ كفقيه جليل من فقهاء القرن الثالث عشر الهجري ، وكان عالماً ربانياً ، مفسراً كبيراً ، محدثاً بارزاً ، فقيهاً كاملاً ، فإن كتابه " بيان القرآن " في التفسير عمل مجيد من أعماله .

وفي مجال خدمات الفقه يبدو أبرز معاصريه ، لأنه لم يكن مفتياً عاماً بل قد اختاره الله جل وعلا ليخدم الفقه خدمة مرموقة ، وله رغبة خاصة في الفقه منذ عهد الدارسة ، ومن هنا قد أصبح فقيهاً مجتهداً في القرن الثالث عشر الهجري .

---

[١] مقدمة بوادر النوادر ، ج ١ .